# مناقشات

## رأي في قصص العدد السابق

### جودت فخر الدين

١ ) عندما تبكي الالوان :

« عندما تبكي الالوان » اربع قصص لزين العابدين الحسيني تنطوي على هم مشترك ، وهو رؤية الحرب اللبنانية عن طريق التوجس لجوهرها المأساوي الذي يمكن أن يجعل منها بشكل من الاشكال انفجارا يعد بالتحول والتغيير ، والقصص الاربع ، « المهزوم »، و « المشاجرة »،و « الوهم » و « الملصق » التي كتبت في زمن الحرب تعكس لنا بعض صورها محاولة تخطي الحدث المباشر للنفاذ الى ما وراءه من احلام واوهام .

وهذه القصص متشابهة في بنائها الفني وتطورها وحركتها الداخلية ، كما تلتزم كلها بشروط القصة القصيرة في رسمها للشخصيات وفي تساوق احداثها ضمن محدودية الزمن . ففي قصصه ، يقدم لنا الكاتب أناسا يعيشون الحرب يوميا ، وتعمل الحرب فعلها المباشر في نفسياتهم وتصرفاتهم ، حتى انه يمكننا القول ان زين العابدين قدم لنا في القصص الثلاث الاولى شخصية واحدة ، هي تلك التي يتنازعها الحزن والخوف والوهم واحيانا الانهزام ، وقد اكتسبت هذه الشخصية مواصفاتها تلك تحت تأثير الحرب واشكالها الرهيبة التي لم تكن وعدا وانما كان مجيئها كالفجاءة او الغدر . وعلى ذلك تبدو هذه الشخصية واقعيه الى حد كبير كونها نتاجا طبيعيا لظروف الحرب الصعبة .

هذه الشخصية تتخلى عن بعض صفاتها وتكتسب ملامح اخرى في القصة الرابعة « الملصق » ، حيث يقدم المؤلف المقاتل الذي يتعامل مع الحرب بكل جدية وصرامة ، الذي يرفض الزيف والمساحيق ولا يتكلم كثيرا ولا يضحك ، ولا يبوح باسراره ولا حتى باسمه . وهذا المقاتل هو سليل اسرة فقيرة ، كان قد ولد ونشأ في غرفة تنكية ، ومن خلال هذه الشخصية ، يتخذ الكاتب موقفا ايجابيا في تعامله مع الحرب على اساس انها تحتوي على مضامين ثورية طالما انها تتخذ شكل التناحر الطبقي .

اما حركة الزمن داخل هذه القصص فانها تتشابه في تطورها داخل النص ، وتشكل بمجموعها من لحظات متوترة تنتهي في نهاية القصة باللحظة الفاعلة او الحاسمة ، والتي ينفتح بعدها الافق تاركا للتوقعات مجال الاحتمال والحدوث ، ناخذ مثلا على ذلك نهايه « المشاجرة » : « فيما كان اللون الوردي يفيض في وجهها الى الابد ، اربعس جفناها فانهمرت دموع غزيرة من العينين العسليتين في حين ظل جسدها ساكنا تماما ».

هكذا يبدو قصص زين العابدين الحسيني تحفيفا لبعض اللوحات التي استمدها من واقع الحرب اللبنانية ونفاذا الى جوهر هذه الحرب المأساوي الذي يفتح من حيث دلالاته الاجتماعية والطبقية باب الامل واسعا .

٢ ـ لانك لو تعلم ...:

رفيف فتوح في قصتها « لانك تو تعلم » تحاول هي الاخرى ان ترى الى الحرب اللبنانية عن طريق اضاءة جانب من جوانبها ، فتعمد الى ذلك الجانب البشع الذي تجلى في القتل وتشويه الجثث ،تصور لنا القصة حالة امرأة ثكلى فقدت حبيبها وشوهته الحرب فكان عليها أن تتعرف على جثه ، واذا كانت الكاتبة تصور في ذلك اشكال الحرب الهمجية ، فانها تتخذ موقفا ضد احد اطراف الصراع فيها ، فهي اذ تعلن بأن « التاريخ هو تاريخ الشعوب » تدين بذلك القوى الفاسية والمتآمرة على الشعب ، كما ان موقفها الايجابي يبلغ ذروته على لسان المرأة التي رفضت ان تقبل موت حبيبها واعلنت انها ما زالت بانتظاره وانه سيعود : « هات يدك وتكلم ، انني لا اصدق انك مت ، ولا احد يجعلني اصدق ... سنأتي وستدق جرس البيت ... » .

من خلال مشاعر هذه المرأة ، استطاعت الكاتبة ان تعبر عن مشاعر الكثرة من الناس الذين استهدفوا في الحرب اللبنانية وكانوا ضحايا لها ، كما انها تضيف الى ذلك تعابير عن الايمان بعدالة قضية الجماهير المقهورة : « لانك هكذا عبرت البحر ، لكنك لم تذهب، فانا لو تعلم .. حامل ، والارض تعاجه » .

بعد هذا الكلام على قصص زين العابدين الحسيني ورفيف فتوح، نريد ان نقول ـ اضافة ـ بان الحرب اللبنانية بكل جوانبها وابعادها يمكن ان تكون هدفا لعمل روائي طويل ، اذ انها بكل معطياتها تضيق القصة القصيرة عن تناولها فنيا ، وما قدمته قصص الكاتبين الحسيني وفتوح انها نجحت في الغاء الضوء على بعض جوانب هذه الحرب .

٣ ـ والآن من الذي قتل هذا الرجل :

قصة ابراهيم عبدالمجيد « والآن من الذي قتل هذا الرجل » تدور حول حادثة مقتل عبدالغني التي تتلخص في اصطدام اوتوبيس بترام على مقربة من الاشارة الضوئية في الميدان الذي كان يعبره عبد الغني اذ انه ضغط بين الاوتوبيس والترام . بعد ذلك لم يعرف بالضبط من هو المسؤول عن الخطأ الذي تسبب بوقوع الحادثة. وفي القصة تقص للحالات التي كانت تسيطر على الاشخاص الاربعة الضالعين بالحادثة وهم سائق الاوتوبيس وشرطي المرور وسائق الترام والقتيل .

سائق الاوتوبيس ، خطفت انتباهه فتاة كانت تجلس بمحاذاته ، وكان يتحسس فخذيها بيده ويحادثها ، وهكذا فقد وصل بالاوتوبيس الى مفارق الطرق واصطدم بالترام دون ان ينتبه الى الاشارة الضوئية ليرى ما اذا كانت مفتوحة ام مغلقة .

اما شرطي المرور ، المسؤول عن فتح الاشارة واغلاقها ، والذي كان منصرفا للتفكير بمسائل شخصية ، فكان ـ عند وقوع الحادث ـ قد استهواه ان يعبث قليلا بالاشارات ، فأخذ يضغط على الازرار دون مراعاة للوقت المناسب .

اما سائق الترام فكان منصرفا تماما للتفكير بقضية ابنه الذي اصيبت ذراعه في معركة العبور ، وحاول عبثا التوصل الى معالجتها، اذ انه اتصل بعدد من المسؤولين دون جدوى حتى وصل اخيرا الى حالة من اليأس والسخط .

اما القتيل عبدالغني ، فكان يسير هو وزميله عندما اصبحا في الميدان على مقربة من تمثال محمد علي باشا ، وكان محمد علي يعيش في ضمير عبدالغني رجلا جبارا ورمزا للبطولة ، وقد اعتاد على زيارة التمثال سابقا وكان يناجيه عندما نسي نفسه وسقط بين الاوتوبيس والترام .

بعد الحادث ، يتقصى الكاتب ردود الفعل لدى كل من الاشخاص الاربعة فيرى بأن كلا منهم يحاول اسناد الخطأ الى الآخرين، فسائق الاوتوبيس : « يشعر ان هناك خطأ ما ، وهو يشعر اكثر انه لم يخطىء ، وربما لاكثر من تسعين في المائة ، يكون الخطأ عند سائق الترام . اما ذلك الرجل الذي ضغط ، فهو لا شك مخطىء ، اذ ما الذي يجعله يعبر الطريق في هذا الموقع الخطر » . اما شرطي المرور فقد قال : « هل اصيب سائق الترام بعمى ؟ لماذا لا يكون الخطأ عند سائق الاوتوبيس » . اما سائق الترام فكان ما يزال في اللحظات التي تلت الحادث غارقا في همومه وذهوله . وحده القتيل كان يحافظ على وجه مبتسم ومتسائل ومنطبق فوق الزجاج.

لقد توصل الكاتب من خلال عرضه لنماذج من الشخصيات الى ابراز بعض الخصائص التي تتحكم بالمسلك الشخصي لهذه النماذج، والتي هي تمثيل لاوسع الفئات في مجتمعاتنا . ان ابرز هذه الخصائص « الفردانية » التي تحصر اهتمامات كل فرد منا على المستوى الشخصي ، وتنتج عن هذه الخاصة خاصة اخرى تبدو جلية في القصة ، هي التنصل من المسؤولية في حالات الخطأ او الهزيمة والقاؤها على الآخرين ، وهاتان الخاصتان يمكن استجلاؤهما في كل قطاع من قطاعات مجتمعنا العربي . من هذه الزاوية ، تبدو لنا قصة ابراهيم عبدالمجيد غوصا في اعماق الواقع وتحريا صادقا لبعض صوره ، وبالتالي ادانة لبعض السلبيات التي تتجلى على المستوى الفردي ، ولا نغفل ايضا الطرافة وعامل الصدفة اللذين يجعلان من القصة عملا فنيا رشيقا .

٤ ـ السور :

قصة عبدالاله عبدالرزاق « السور » تعتمد على الرمز والايحاء في طرحها لقضية من اكثر قضايا مجتمعنا عمقا ودلالة على ضراوة الصراع الناشب بين فئاته على الصعيد الطبقي . في القصة اشارة الى الحصار الذي تعاني منه الطبقات المكدودة وبالتحديد طبقة الفلاحين الذين يعيشون داخل اسوار من التضييق والقهر . واذ يلج الكاتب في هذه القضية عبر رموز عديدة ( الحارس ، السور ، الضريح ..) فانه يعطي لقصته النهاية التي تتناسب مع منطقية التطور التاريخي والتي نجسد في انتفاضة الفلاحين واقتحامهم للسور ، يبقى ان القصة كانت بحاجة الى قليل من الشفافية لكي يتسنى لها الوصول الى جوهر القضية واضاءة ابعادها ، اذ ان الاغراق في الرمز اضفى عليها وشاحا من الضبابية والتعقيد .

٥ ـ الوافد :

الفكرة الرئيسية في قصة « الوافد » لطاهر السقا هي ان الثروة التي تأتي بغير جهد تودي بصاحبها الى التعاسة . وقد حاول الكاتب ان يوصل الينا هذه الفكرة بطريقة لا تنجو من السطحية وتفتقر الى نفاذ في الرؤيا واحاطة بموضوع الثروة بكل ابعاده، فقد تناول مسالة الغنى على مستوى الافراد الذين يمكنهم ان يحصلوا على الثروة بطرق متعددة دون ان يعالج الموضوع من نواحيه الاكثر عمقا كان بحث في قصته وعيا لمعنى وكيفية امتلاك الثروات وما يتبع ذلك من دلالات اجتماعية . فالقصة تحكي عن مقامر حصل على مليون جنيه من مقامر آخر مقابل شيء لم يعرفه بالضبط واصبح هاجسه الدائم، وبعد ان شك في زوجته قتلها معلنا انه مذنب ويستحق الموت . وقد اعتمدت القصة في تطورها على الحوار وحافظت على نوع من المنهجية في حركتها .

٦ ـ الرجل ـ الجذع ومسافره :

قصة « الرجل ـ الجذع ومسافره » لاندريه شديد والتي ترجمتها عن الفرنسية رنا ادريس تتناول في سياقها تآلفا ينشأ بين مسافر ينتقل من مكان الى اخر حاملا حقيبته واوراقه ، وبين رجل آخر، مشوه ، مقطوع الذراعين ، لا يتجاوز طوله المتر الواحد ، ويظل قابعا على حصيرته في نفس المكان .

ذلك المسافر يعاني من الغربة والحيرة ،يصطحب اتعابه في اسفاره الدائمة ، ويحضر احيانا سهرات او اجتماعات للعمال ،ودائما يسرع للقاء اليفه الذي لا يغادر مكانه ابدا ليقول له : « كيف حالك ؟» فيرد عليه : « وانت ».

كان هذا الرجل محطة لاحزان وافراح ذلك المسافر ، لم يخنه ابدا ، فكان يجد لديه المونل المفضل لبث شجونه ومشاعره .

واذا كانت القصة تعتمد على الرمز ، وتوغل فيه ، فاننا نستشف من خلالها رغبة ودعوة الى الخروج من حالة الاغتراب والتنقل الى حالة من الاستقرار والاطمئنان الى موقع محدد يلغي كل حيرة وتذبذب، وتبدو هذه الدعوة واضحة في دخول المسافر مع اليفه الرجل ـ الجذع في حركة دوارة منتظمة ووصولهما الى ذروة من التآلف .

واذا كانت القصة تنتهي بتخلي المسافر عن حقيبته واوراقه وبخلي الرجل ـ الجذع عن حصيرته ، فان ذلك يفتح لنا مجال الترقب للخطوة التالية التي ستتبع ذلك التآلف .

ما يمكننا قوله في النهاية ،هو ان اندريه شديد استطاعت من خلال الرمز أن تنقل لنا حالة واقعية يتنازعها القلق والاضطراب، وقد وجدت خلاصها في توحدها بذلك الملتصق بموقعه ، المطمئن لثباته .

بيروت